المال عند أحمد شوقي بين المنظور الاجتماعي والمنظور النفسي	دكتور شعبان إبراهيم حامد

مقدمة :

يعني البحث بالحديث عن المال عند أحمد شوقي في ضوء المنظور الاجتماعي ، والمنظور النفسي ، بوصفها منطلقين أساسيين لا ثالث لهما عند شوقي في حديثه عن المال ، وبوصفهما مصدراً لصورة المال عند شوقي ، ومصدراً – أيضاً – لمزاوجة شوقي بين الشعر والمسرح في حديثه عن المال ، ومصدراً أيضاً لتشكيل المال للصراع في مسرحيات شوقي ، التي تعرض لقضية المال ، ومصدراً – أيضاً – لتوجه شوقي بأدبه نحو المجتمع .

ولهذه الأسباب الموضوعية والفنية ، فإنّ الباحث يرى ضرورة طرح هذا الموضوع للبحث والدراسة من جانبه ، آملاً أن يسهم في تحقيق قراءة واعية ومثمرة لأدب أحمد شوقي فيما يختص منه بالمال .

أولاً : المال عند شوقي من المنظور الإجتماعي :

تحدث أحمد شوقي عن المال من منظور اجتماعي ، وأعني به توضيح علاقة المال بالمجتمع ، وعلاقة المجتمع بالمال ، وذلك من جانب شوقي ، تساعده في ذلك خبرته وتجاربه في الحياة ، حيث يقول طه حسن عند الحديث عن طبيعة شوقي ، والمؤثرات التي عملت فيها : "ثم لم تكد هذه النفس الخصبة الغنية المتوقدة تتصل بالحياة حتى لقيت من حوادثها وتجاربها ، ومن كنوزها وغناها ما يزيدها خصباً إلى خصب وثروة إلى ثروة " (١) .

أما عن علاقة المال بالمجتمع ، فإنَّ شوقياً يرى أنَّ للمال أهمية وقيمة في حياة المجتمعات والشعوب بصفة عامة ، فهو – في رأيه – قوام حياة هذه المجتمعات وتلك الشعوب ، وباعث نهضتها ، وضامن عزتها ومنعتها ، ويلاحظ ذلك من قوله : " يا مال الدنيا أنت ، والناس حيث كنت ... من عاش قوموه بما ملك ، ومن هلك تساعلوا كم ترك ؟ .... العريان من ليس دونك منه سترة ، والمستضعف من ليس له منك قدرة " (٢) .

ويلاحظ هذا الرأي لشوقي أيضاً ، من قوله شعراً (٣) .

والملك بالأموال أمنع جانباً وأعز سلطاناً وأصدق مظهراً

---

(١) حافظ وشوقي ، مكتبة الخانجي ، جمهورية مصر العربية ، ومكتبة المثنى ، ببغداد ، ١٩٦٠م ، ص ١٩٩ .

(٢) الموسوعة الشوقية ، جمع وشرح إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م ، م٦ / ٦٩ ، (كتاب : أسواق الذهب) .

(٣) أنظر المصدر نفسه /٤٠٤/٣ .

ومن قوله أيضاً : [1]

والمال ، مذ كان ، تمثالٌ يطاف به ... والناس مذ خلقوا عباد تمثال
إذا جفا الدور فاتع النازلين بها ... أو الممالك فاند بها كأطلال
ياطالباً لمعالي الملك مجتهداً ... خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبني الناس ملكهم ... لم يبن ملك على جهل وإقلال

ومن قوله أيضاً : [2]

الملك أن تعملوا ما استطعتم عملاً ... وأن يبين على الأعمال إتقان
الملك أن تخرج الأموال ناشطة ... لمطلب فيه إصلاح وعمران

وهكذا يرى شوقي قيمة المال في تحقيق أمرين متلازمين يشكلان ثنائية في حياة المجتمعات والشعوب ، وهما الجانب الاقتصادي التنموي ، والجانب الأمني الوقائي ، فالأول يحقق الثاني ويدعمه ، والثاني سبيل إلى تحقيق الأول وحفظه ، وكلاهما عماده المال ، وكلاهما يستهدفان النهوض بالمجتمعات والشعوب .

أما عن علاقة المجتمع بالمال ، فيرى شوقي أن على المجتمع دوراً تجاه المال ، كي يتحقق هذا المال وجوداً ونفعاً ، وهو لا يُصرح بهذا الدور تصريحاً ، وإنما يلمح إليه من خلال تبنيه لبعض المواقف المتعلقة بالمال ، مثل دعوته أبناء المجتمع للعمل والكد بوصفهما مصدراً للمال الذي به قوام حياتهم ونهضة مجتمعهم فيقول : [3]

ومن كان يغزو بالتعلات فقره ... فإني وجدتُ الكدَّ أقتل للفقر

---

(١) أنظر المصدر نفسه /٤/٢٣١ ، ٢٣٢ .
(٢) أنظر المصدر نفسه /٥/٣١٣ .
(٣) أنظر المصدر نفسه ٣/١٨٢ .

ويقول : [1]

كن نشيطاً عاملاً جمَّ الأمل إنمـــا الـــصحة والـــرزق العمـــل

ويقول أيضاً ، مستنهضاً همة الشباب نحو تنمية الصناعة والتجارة والزراعـــة ، بوصفهن مصادر تنمية المجتمع فيقول : [2]

العـــصر حُـــرٌ والـــشعوب طليقـــة مالم يحزها الجهـــل فـــي ارســـانه
فاض الزمان من النبوغ فهل فتـــى غمـــر الزمـــان بعلمـــه وبيانـــه ؟
أين التجارة وهي مضمار الغنـــى ؟ أين الصناعة وهي وجه عنانـــه ؟
أين الجواد علـــى العلـــوم بمالـــه؟ أين المشارك مصر فـــي فدانـــه ؟
أين الزراعة فـــي جنـــان تحـــتكم كخمائل الفـــردوس أو كجنانـــه ؟

ويقول – أيضاً – داعياً إلى الأخذ بأساليب العلم الحديث ، حتـــى يـــؤتي العمل ثماره المرجوة من تقدم ونهضة المجتمع [3] :

ونلمس هذه الدور للمجتمع تجاه المال – أيضاً – من دعوة شوقي لتبني ثقافـــة

وإن نبغتم ففي علم وفي أدب وفي صناعات عصر ناسه صـــنع
وكل بنيان قوم لا يقوم على دعائم العصر من ركنيه منـــصدع
عليكم بخيال المجد فاتلفوا حيالـــه وعلـــى تمثالـــه اجتمعـــوا
وأجملوا الصبر في جدٍّ وفي عملٍ فالصبر ينفع ما لا ينفـــع الجـــزع

---

(١) أنظر المصدر نفسه /١٨٢/٢ .
(٢) أنظر المصدر نفسه /٢٦٨/٥ .
(٣) أنظر المصدر نفسه /٧٠/٤ .

التدبر والحكمة في صرف المال ، وعدم السفه فيه ، لما يمثله المال من قيمة في حياة الشعوب والمجتمعات ، حيث يقول [1] :

إن كنت ذا مالٍ فكن ذا فطنةٍ ... فالمال ليس لجاهلٍ بخليل

ويقول أيضاً [2] :

والمال لا تجنى ثمار رؤوسه ... حتى يصيب من الرؤوس مدبراً
إنا لقي زمن سفاه شعوبه ... في ملكهم كالمرء في بيت الكرا

وقريبٌ من هذه الدعوة ، رفض شوقي لاستغلال المال استغلالاً سيئاً ، مثل استخدامه كوسيلة لتلبية حاجة النفس من الشهوات والنزوات ، وتحطيم قواعد الدين والعرف ، كما هو الحال في أمر هؤلاء الرجال من كبار السن ، الذين يرشون بمالهم أولياء أمور الفتيات الصغيرات، من أجل الزواج منهن ، حيث يقول ساخطاً عليهم : [3] :

شغل المشايخ بالمتاب وشغله ... يتبدل الأزواج والأصهار
في كل عام همه في طفلة ... كالشمس إن خطبت فللأقمار
يرشو عليها الوالدين ثلاثة [4] ... لم أدر أيهم الغليظ الضاري

---

(١) أنظر المصدر نفسه /٤/٢٧٦ .

(٢) أنظر المصدر نفسه /٣/٤٠٤ .

(٣) أنظر المصدر نفسه / ٣/٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٤) يقصد بالثلاثة الوالدين والوسيط بين الشيخ وبين الوالدين .

ثم يوضح علاقة هذا الأمر باستغلال المال استغلالاً سيئاً فيقول : [1]

المـــال حلـــل كـــل غيـــر محلـــل حتـــى زواج الـــشيب بالأبكـــار

ونلمس دور المجتمع تجاه المال – أيضاً – من دعوة شوقي أبنـاء المجتمـع للإسهام في كل مشروع من شأنه الحفاظ على المال وتنميته ، مثـل دعوتـه فـي مشروع مصرف بنك مصر ، حيث يقول : [2] .

سـواة مـصر عهـدناكم إذا بـسطتْ يـد الـدعاء سـراعاً غيـر بخـال
تبين الصدق من مـين الأمـور لكـم فامضوا إلى الماء ولا تُلووا على الآل
لا يذهب الدهر بـين الترهـات بكـم وبـين زهـر مـن الأحـلام قتـال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتـشدوا رأيـاً لـرأيٍ ومثقـالاً لمثقـال
هـذا هـو الحجـر الـدريُّ بيـنكم فابنوا بنـاء قـريش بيتهـا العـالي
دار إذا نزلـت فيهـا ودائعكـم أو دعتم الحـبَّ أرضـاً ذات أغـلال
آمال مـصر إليهـا طالمـا طمحـت هـل تبخلـون علـى مـصر بآمـال
فابنوا علـى بركـات الله واغتنمـوا مـا هيـأ اللّـهُ مـن حـظ وإقبـال

ومثل دعوته أيضاً للإسهام في مشروع القرش[3] ، الذي دعا إليه شباب مصر آنذاك ، لما يحققه من خطوة على طريـق نهـضة الـصناعة المـصرية حيـث يقول : [4]

---

(١) أنظر المصدر نفسه / نفس الصفحة .
(٢) أنظر المصدر نفسه / ٤ / ٣٣٢ .
(٣) كان يهدف هذا المشروع آنذاك توزيع طوابع بفئة القرش لبناء مصنع للطرابيش .
(٤) انظر المصدر نفسه ١١٧/٣.

أيها الناس أسمعوا اصغوا له ... أخرجوا المال إلى البريعد
لا تردوا يدهم فارغة ... طالب العون لمصر لا يرد
سيرى الناس عجيباً في غد ... يغرس القرش ويبني ويلد
ينهض اللّهُ الصناعات به ... من عثار لبثت فيه الأبد
أو يزيد البر داراً قعدتْ ... لكفاح السل أو حرب الرمد
وهو في الأيدي وفي قدرتها ... لم يضق عنه ولم يعجز أحد
تلك مصر الغد تبنى ملكها ... نادتْ الباني وجاءت بالعدد
وعلى المال بنت سلطانها ... ثابت الأساس مرفوع العمد

ونلمس هذا النور للمجتمع - أيضاً - من دعوة شوقي إلى إنفاق المال ، وعدم احتكاره وحبسه لحساب فئة دون أخرى ، حتى لا يضار المجتمع في مصالحه بهذا الاحتكار ، فهو يؤمن بحق أفراد المجتمع جميعاً في الانتفاع بالمال ، كما أنهم شركاء في تحقيقه ، حيث يقول : (١)

يريد الخالق الرزق إشتراكاً ... وإن يك خصَّ قوماً وحابى

ويقول في حبس المال واحتكاره : (٢)

إنَّ الشعوب إذا ما أدبرت حبست ... مالاً عن البر أو علماً عن العمل

ويقول ذاماً البخل بالمال : (٣)

---

(١) أنظر المصدر نفسه / ٢ / ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
(٢) أنظر المصدر نفسه /٤/٤٧ .
(٣) أنظر المصدر نفسه ٢/٢٥٩ .

ولم أر مثل جمع الماء داءً ... ولا مثل البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوته ورنها ... كما تزن الطعام أو الشراب
وخذ لبنيك والأيام ذخراً ... وأعط الله حصته احتسابا

ويندد بجشع التجار في وقته واحتكارهم للسلع ، كصورة من صور احتكار المال ، مما أدى إلى غلاء الأسعار فيقول : [1]

عبادك رب قد جاعوا بمصر ... أنيلاً سقت فيهم أم سرابا
حنانك وأهد للحسنى تجاراً ... بها ملكوا المرافق والرقابا
رقق للفقير بها قلوباً ... محجرة وأكبادا صلابا
أصيب من التجار بكل ضار ... أشد من الزمان عليه نابا
يكاد إذا غذاه أو كساه ... ينازعه الحشاشه والإهابا

وهكذا يتضح أن المال والمجتمع يشكلان عند شوقي ثنائية واحدة ، ويربطهما علاقة تبادلية ، فالمال يحقق للمجتمع أمنه ورخاءه ، والمجتمع يحقق للمال وجوده وفاعليته وذلك بطريق العمل النافع الذي يؤدي إلى تحصيله ، وبالإحسان في صرفه واستغلاله ، وبتنميته وزيادته ، وبصرفه وبذله ، وعدم حبسه واحتكاره .

ثانياً : المال عند شوقي من المنظور النفسي :

تحدث شوقي ـ أيضاً ـ عن المال من المنظور النفسي ، وأعني به حديثه عن قدرة المال على التأثير والفعل في نفس الشخصية الإنسانية ، وتشكيل سلوكها والتحكم فيه.

---

(١) أنظر المصدر نفسه /٢/٢٥٥ - ٢٥٦ .

ولما كان الحديث عن المال من هذا المنظور ، يعني بتوضيح أثر المال وفعله في نفس الشخصية وسلوكها ، وجدنا شوقي يعتمد على المسرح بصفة أساسية كآلية لتوضيح هذا الفعل للمال ، وذلك لقدرة المسرح من حيث مقومات بنائه الفني على تلبية حاجة هذا المنظور من عنصر الشخصية الذي يراد توضيح أثر المال وفعله من خلاله ، كذلك من عنصر الصراع الذي يعبر عن هذا الأثر ويظهره .

وقد تميز شوقي عندما جعل المال هو الذي يخلق الصراع ويشكله ، ليصبح المال شاهداً على فعله وتأثيره بذاته .

ففي مسرحية الست هدى ـ على سبيل المثال ـ نجد المال يشكل صراعاً مع العاطفة التي توجب على الإنسان أن يخطب في المرأة جمالها وأنوثتها ، وليس مالها ، حيث ينتصر المال على هذه العاطفة لدى شخصيات هذه المسرحية ، وتصبح الست هدى – على كبر سنها وقبح منظرها – موضع زواج من تسعة أشخاص يمثلون مهناً وطبقات اجتماعية مختلفة ، وذلك من أجل مالها وفدادينها الثلاثين .

ويعبر شوقي عن هذا الفعل للمال على لسان الست هدى نفسها في حوارها مع جارتها زينب ، حيث تقول : (١)

ويؤكد شوقي على هذا الفعل للمال على لسان عبد المنعم المحامي بوصفه أكثر

يقولون في أمري الكثير وشغلهم ... حديث زواجي أو حديث طلاقي
يقولون إني قد تزوجت تسعة ... وانى واريت التراب رفاقي
وما أنا عزيل وليس بمالهم ... تزوجت لكن كان ذاك بمالي
وتلك فدادين الثلاثون كما ... تولى رجال جئنني برجال
فما أكثر عشاقي ... وما أكثر خطابي
ولولا المال ماجاؤوا ... أذلاء إلى بابي

---

(١) أنظر السابق نفسه / ٧ / ١٠ (المسرحية) .

شخصيات المسرحية حضوراً ، فيقول : [1]

إنـــي لـــم أخطبـــك يـــا	هـــدى لفـــرط حـــسنك
ولا تزوجتـــــك ، يـــــا	صـــــغيرتي لـــــسنك
ولا وقعـــت فـــي الـبـــلاء	لـــــسواد عينـــــك

فترد الست هدى قائلة ، ملمحة إلى أثر المـال وفعلـه [2] إذن لطينـي بـي تزوجت ؟

فيقول عبد المنعم : [3] أجل لطينك .

ويوضح شوقي أثر المال وفعله ـ أيضاً ـ من خلال الصراع الذي يـشكله هـذا المال مع قيم الدين وثوابته ، التي توجب على المجتمع تزويج من يرتضى دينه وخلقه من الرجال ، وتوجب على الرجال ـ أيضاً ـ الظفر بذات الدين من النساء ، حيث نجد المال ينتصر على هذه القيم ويتخطاها ، ويصبح هو بفعله وسحره المعيار في الاختيار عند الطرفين الرجل والمرأة ، حيث نجد جمال في تمثيلية البخيلة ، يقبل الـزواج مـن زينب بنت النقيب عندما تعرض عليه بواسطة رشاد السمسار ظناً في غناها ، كـذلك الأمر عند عزيز أخ زينب ، يرحب بزواج جمال من أخته ـ رغم وضـاعة نـسبه ـ طمعاً في المال الذي توهم أنه سوف يرثه عن جدته نظيفة البخيلة [4] .

---

(١) أنظر السابق نفسه ٧ / ٤٠ (المسرحية) .

(٢) أنظر السابق نفسه / نفس الصفحة .

(٣) أنظر السابق نفسه / نفس الصفحة .

(٤) أنظر السابق نفسه ٦ / ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ (تمثيلية البخيلة) .

وعندما تعلم أسرة عزيز بما فعلته جدة جمال من كتابة كلّ مالها لخادمتها من دونه ، ترفض إتمام الزواج ، هو ما يشير إليه شوقي في الحوار الذي يجريه على لسان جمال وأم على الخاطبة على النحو التالي [1] .

أم علي : أصغ يا سيدي أم العروس جنت .

جمال : كيف ؟ ولم أمّ علي ؟ تريد فسخ الخطبة .

جمال : كذا أنا .

أم علي : وأنت أيضاً .

جمال : تلك كانت نيتي .

قد سمعت لا شك أني قد خسرت ثروتي .

وقد علمت بأنني قد حرمتني جدتي .

أم علي : أجل .

جمال : فقالت مفلس ليس يليق لابنتي .

ويتضح فعل المال وأثره ـ أيضاً ـ من الصراع الذي يشكله هذا المال مع عاطفة الأبوة وما توجبه على الإنسان من شعور الرحمة والعطف نحو الأبناء ، حيث ينتصر المال على هذه العاطفة وأخل حاملها ، ويتحول بصاحبها إلى إنسان متجرد من كل متعلقاتها ، ففي مسرحية على بك الكبير نجد مصطفى الجلاب تاجر الإماء والرقيق ، يفقد ـ بفعل المال وأثره ـ عاطفة الأبوة عنده تجاه أبنته آمال ، فيبيعها مع غيرها من الإماء ، وهي حرة ، وذلك لقصر على بك الكبير ، ولا يأبه لنداء أبنته إليه عندما تقول له : [2]

---

(١) أنظر السابق نفسه ٦ / ٤٤٠ (تمثيلية البخيلة) .

(٢) أنظر السابق نفسه ٧ / ٢١٧ (مسرحية على بك الكبير) .

أبـــي ... تـــاجر كمـــا شـــئت وكيـــــف أردت فـــــاحترف
ولكـــــن لا تـــــرم ثمنـــــي ولا فـــــي هـــــذه الغـــــرف
فبيـــــع الجـــــنس فاحـــــشة ألـــــيس كـــــذلك ؟ أعتـــــرف
أبـــي شـــرف علـــي فقـــر ولا فقـــــر إلـــــى الـــــشرف

ولا يأبه لنداء ابنته أيضاً ،عندما يوافق على بيعها لمراد بك بألف دينـــار ، حيـــث تقول له معاتبه إياه : (١)

أبي أبي تمـــضي بـــي وتحملنـــي كالشاه ! هذا لعمري أعظم عـــار

وعندما تقول ـ أيضاً ـ فاضحة أمره : (٢)

قف أنت عبـــد المـــال يـــا أبتـــي تلقى البريء لأجل المال في النار
لا ، سيدي ، لا أبي لا تذكرا ثمناً فلستُ مخلوقة للبـــائع الـــشاري

ويكشف شوقي عن أثر المال وفعله في نفس مصطفى الجلاد ، على لسانه ، فيجعله يقول : (٣)

يامال ما فيك من سحر ومن خطـــر لقد نزلت بنا عـــن رتبـــة البـــشر
تاجرت بالجنس حتى صار محتقراً عند الشعوب وما جنـــسي بمحتقـــر
ذهبت بالشركس الآســـاد أعرضـــهم عرض الرعاة صغار الشاة والبقر
لولاك ما بعت أطفالي ، فما كبدي من الحديد ولا قلبي مـــن الحجـــر

---

(١) أنظر السابق نفسه / ٢٢٤/٧ (المسرحية) .
(٢) أنظر السابق نفس الصفحة .
(٣) أنظر السابق نفسه ٢١٧/٧.

ويوضح شوقي أثر المال وفعله ـ أيضاً ـ من خلال الصراع الذي يشكله هذا المال مع الالتزام بواجب المسؤولية عند الشخصية ، حيث ينتصر المال ـ بفعله وتأثيره ـ على هذا الالتزام ، ويتحول بالشخصية من شخصية ملتزمة بواجب المسؤولية ، إلى شخصية مفرطة فيها غير مبالية بها .

ففي مسرحية أميرة الأندلس في المنظر الثاني من الفصل الخامس ، يحاول كلٌ من بثينة بنت الملك المعتمد بن عباد ، وحسنون ، وأبو الحسن ، والقاضي ابن حيون زيارة الملك المحبوس المعتمد بن عباد في سجنه في أغمات بالأندلس ، بعد أن غار عليه جنود ملك المغرب يوسف بن تاشفين ، فيحال بينهم وبين الزيارة من جانب السجان بعد حوار معه ، يبدو في أونه ملتزماً بواجب المسؤولية ناهضاً به على النحو الآتي : [1]

السجان : من الرجال ؟ ما تبتغون ؟ متى كان حرم السجن موضع وقوف وهمس ؟

حسنون : نحن ، أيها السجان ، طائفة من آل الملك السجين ، وحاشيته ، قد هزنا الشوق إلى زيارته والسؤال عن أمره ، فادخل ، فاستأذن لنا عليه .

ثم يأتي دور المال وفعله في التحول بالسجان من هذا الموقف المتشدد ، وذلك عندما يلقي إليه ابن حيون صرة من الذهب ، فيأخذ الحور بينهما منحىً آخر على النحو الآتي : [2]

السجان : [وهو يضع الصرة في كمه] ما هذا ؟ أيها السيد ؟

ابن حيون : هذا ! لقد لمسته بيدك ؟ هذا قد سمعت رنينه بأذنك ، هذا يا أخي هو الذهب ، مفتاح الأبواب كلها إلا باب الجنة .

---

(١) أنظر السابق نفسه / ٦ / ٣٦٢ (أميرة الأندلس) .

(٢) أنظر السبق نفسه ٦ / ٣٦٣ (المسرحية) .

الحارس : هذا كثير ، يا سيدي .

ابن حيون : بلى هو قليل يا أخي ، ولك مثله عند خروجنا من حضرة الملك .

السجان : لقد سألتموني أمراً صعباً ، أيها السيد ... ، ومع ذلك ... فما في دخولكم من بأس ، تفضلوا يا سادة أدخلوا .

ومثل هذا الفعل والتأثير للمال نجده في مسرحية علي بك الكبير ، حيث نجد سعيداً رسول مراد بك لقتل علي بك الكبير ، يستخدم المال في تسهيل تسلله إلى حصن ضاهر العمر صاحب حصن عكا وحليف علي بك الكبير ، وذلك لقتل الأخير ، وهو ما يوضحه شوقي في سؤال صديقه حسين له عن كيفية اقتحامه لهذا الحصن في قوله : (١)

وكيف أقتحمت فناء العرين وجاوزت هذا الحصار الشديد

فيرد عليه سعيد قائلاً : (٢)

بمال بذلت هنا وهناك وبمال يعطي الفتى ما يريد

ويفهم من هذا الحوار المقتضب أنه كان هناك صراع بين المال وبين الالتزام بواجب المسؤولية من جانب حراس القصر وأنتصر المال على هذا الالتزام .

ولكن يؤخذ على شوقي أنه أوقع نفسه في دائرة النقد ، عندما جعل المال يهزم أمام الإلتزام بواجب المسئولية ، وذلك في قصة ورقة الآس ، حيث نجد الأميرة النضيرة بنت ملك الحضر (الضيزن) ووصيفتها أسماء تحاولان إغراء

---

(١) أنظر السابق نفسه ٧ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، (مسرحية علي بك الكبير) .

(٢) أنظر السابق نفسه ٧ / ٢٦٣ ، (المسرحية) .

حارس إحدى مواقع مدينة الحضر بالذهب ، كي يخلي لهما السبيل لمقابلة ملك الفرس سابور ، وهو الشاب الذي وقعت النضيرة في حبه ، وكذلك هو العكس ، خائنة بذلك أباها والعرب جميعاً ، غير أنهما لم تفلحا في إغراء الحارس بما عرضتاه عليه من قلادة الذهب ، حيث ينتصر الالتزام بواجب المسؤولية على إغراء المال عند الحارث ، فنجده يطرح القلادة ثم يقول : (لا فائدة من الإطالة ، أيتها الأميرة ، فخذي هذا الطريق إلى القصر فإنه أستر لك ، وأليق ببنات الملوك في الليل ، ولا تقربي هذا الجسر ، فمثل بنت الضيزن عندي نازلة إليه كمثل بنت سابور صاعدة منه كلتاهما في الحالتين عدو مبين ، فأما هذه القلادة فهأنذا أمزقها بيد الأمانة ، كما تمزقي تاج أبيك بيد الخيانة [1] .

وأظن أنَّ دافع شوقي في ذلك التناقض ، أنه أراد أن يعلي من شأن الفضيلة أمام المال ، وينتصر لها خاصة في المواقف التي تتعلق بحرمة الأوطان ، مدفوعاً في ذلك بدافع قومي نلمسه في معظم مسرحياته .

ويعود شوقي بعد هذا الموقف إلى توضيح فعل المال وأثره في القصة ذاتها ، حيث نجد أن المال يشكل صراعاً مع الضمير عند أعوان الأميرة أمثال أبو سعد وخادمه ، وقصير الفارسي ، حيث يقومون – تحت سحر المال وفعله – بقتل هذا الحارس الذي أنتصر عنده الإحساس بالمسؤولية والأمانة على المال ، كي يخلو السبيل للأمير لتذهب إلى سابور الفارسي وهذا ما نلمسه من كلام أبي سعد للأميرة ، عندما تنكر عليه هذا الفعل ، وهو قتل هذا الحارس ، حيث يقول لها ملوحاً إلى فعل المال وأثره في النفس : " فأنت تعلمين يا مولاتي أنَّ الذهب والحيلة إذا اجتمعا أديا إلى المستحيل ، وقد سخرا لخدمتنا في هذا وغير من

---

(١) السابق نفسه ٦ / ٤٧٦ (ورقة الآس) .

المواقف ، منك الذهب ، ومني الحيلة ، فثقي إذن بالنجاح في سائر ما تحاولين ؟ ! " [1].

ويتضح فعل المال وأثره – أيضاً – من الصراع الذي يشكله المال مع الرغبة في الانتقام عند الشخصية من الآخر ، حيث ينتصر المال على هذه الرغبة ويتحول بصاحبها إلى الرفق بهذا الآخر ، ففي مسرحية أميرة الأندلس ، نجد القاضي ابن حيون ، يستخدم المال في استعطاف ملك البربر يوسف بن تاشفين ، لينقل المعتمد ابن عباد من سجنه بأغمات ، والذي وصف ابن عباد حاله فيه بأنه " صيدٌ في قيد ، وأسد في صفد ، وحي في قبر ، ودنيا في شبر" [2] . إلى منزل بظاهر المدينة ، يرعى فيه الإبل لابن تاشفين ، وصفه ابن حيون بقوله : >جديد البناء ، وحسن الأثاث ، تحيط به الأشجار من كل جانب " [3] .

وعندما يسأل المعتمد بن عباد ابن حيون عن السبب وراء تحول موقف ابن تاشفين تجاهه ، فيقول ، منوهاً إلى فعل المال وأثره : " ما اجتهدت ، وصنعتُ شيئاً ولكن المال صنع (ويشير إلى الجواهر بحوزته) " [4] .

ويتضح مما سبق ذكره ، أن للمال قدرة على التأثير في نفس الإنسان ، والتحكم في سلوكه بصورة قد تخرج الإنسان عمَّا هو مفطور عليه من حب الخير والحق والفضيلة ، وهو ما يلخصه شوقي في قوله : >المال ينسي الواجب ، ويذهل عن الحق ويذهب العفة ، ويزحزح من الفضيلة " [5] .

---

(١) المصدر السابق نفسه : ٦ / ٤٧٧ (ورقة الآس) .
(٢) السابق نفسه ٦ / ٣٧١ (أميرة الأندلس) .
(٣) السابق نفسه ٦ / ٣٧٢ (أميرة الأندلس) .
(٤) السابق نفسه / نفس الصفحة .
(٥) السابق نفسه ٦ / ٤٧٤ (ورقة الآس) .

واللافت للنظر في حديث شوقي عن المال من المنظور النفسي ، أنه استطاع أن يسخر إمكانات فن المسرح لخدمة موضوعه ، وأن يسخر موضوعه لخدمة فن المسرح عنده ، حيث لاحظ الباحث من خلال ما سبق عرضه ، أن المال والصراع يشكلان ثنائية واحدة ، وأنهما مرتبطان بعلاقة تبادلية ، فالمـــال يخلـــق الـــصراع ويشكله ، والصراع يظهر فعل المال وتأثيره .

خاتمة :

وبعد ، فقد قدَّم البحث لموضوع المال عند أحمد شوقي بين المنظور الاجتماعي ، والمنظور النفسي ، وقد انتهى الباحث منه إلى نتائج أهمها :

أولاً :

أنَّ المال عند شوقي يحمل صورتين ، إحداهما إيجابية ، مصدرها قيمة المال وأهميته بالنسبة للمجتمع ، والثانية سلبية مصدرها فعل المال وتأثيره ، وقدرته على توجيه سلوك الإنسان نحو المرفوض .

ثانياً :

أن المجتمع : إصلاحاً وتقويماً ، هو المستهدف من حديث شوقي عن المال في المنظورين ، وليس المال في ذاته ، ففي المنظور الاجتماعي ، يوضح شوقي قيمة المال وأهميته بالنسبة للمجتمع ، ويرسم للمجتمع المنهج السليم لتحقيق هذا المال وجوداً ونفعاً .

وفي المنظور الثاني يكشف للمجتمع – أيضاً – عن خطورة المال ، وعلى قدرته على تغيير سلوك الشخص من الإيجاب إلى السلب ، بغية توعية هذا المجتمع من أثاره السلبية .

ثالثاً :

أنَّ شوقيًا اعتمد في حديثه عن المال على عقد الثنائيات ، ففي المنظور الأول عقد ثنائية بين المال والمجتمع . بحيث جعل المال يخدم المجتمع ، وجعل المجتمع يخدم المال ، وفي المنظور الثاني عقد ثنائية بين المال والمسرح ، بحيث جعل المال يسهم في تشكيل الصراع في المسرح ، وجعل المسرح يسهم في توضيح أثر المال وفعله .

وهذا يدل ـ في رأي الباحث ـ على امتلاك شوقي لأدوات التعبير ، وقدرتـــه على تطويع القضايا لخدمة الإبداع عنده .

رابعاً :

أنَّ ثمة اختلاف بين طبيعة الشعر وطبيعة المسرح فالأول يميل إلى المباشـــرة والوضوح ، ولذا كان أداة شوقي في حديثه عن المال من المنظور الاجتماعي ، أما الثاني ، فيميل بحكم تركيبه الفني ، إلى التعقيد والتركيب ، ولذا كان أداة شوقي في الحديث عن المال من المنظور النفسي .

خامساً :

أنَّ شوقياً صدر في حديثه عن المال في المنظورين (الاجتماعي والنفـــسي) عن خبره عريضة بواقع الناس في الحياة ، مما يجعل حديثه عن المال أقرب إلـــى الواقع والحقيقة منه إلى الافتراض.